ولو نشأ آدمي وحده حيث لم ير صورة الانسان ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم
وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي
مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لم يتخيل
من هذه الامور الا الصفات والاسما كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة
امراة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المراة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق
والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذي اليه
حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب
ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام
حقائقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره والى
ما لا يمكن اظهاره. واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى التواجد وهذا
التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الريا واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس
عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعا الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة
فان للكسب مدخلا في جلب الاحوال الشريفة ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحضره البكا في قراءة
القران ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق اواخرها وكيف
لا يكون التكلف سببا في ان يصير التكلف بالآخرة طبعا وكل من يتعلم القران اولا يحفظه تكلفا
ويقراه تكلفا مع تمام التامل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري
به لسانه في الصلوة وغيرها وهو غافل فيقرا تمام السورة وتثوب نفسه اليه بعد انتهائها الى
اخرها ويعلم انه قراها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتدا بجهد شديد ثم
تمرن عليه يده فتصير الكتابة له طبعا فيكتب اوراقا وهو مستغرق القلب بفكر اخر فجميع
ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابها الا بالتكلف والتصنع بها اولا
ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال
الشريفة لا ينبغي ان يقع الياس عنها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره
فلقد شوهد في العادات من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره
على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر على نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه
ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص وكذلك

حب الله

حب الله تعالى والشوق الى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها
الانسان فينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم
في النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالدعا والتضرع الى الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة بان ييسر
له اسبابها ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين
فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره
من الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني حبك وحب من احبك
وحب ما يقربني الى حبك فقد فزع الى الدعا في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد
الى مكاشفات والى احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه
الى المتكلف والى المطبوع فان قلت فما بال هولاء لا يظهر وجدهم عند سماع القران
وهو كلام الله تعالى ويظهر على الغنا وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى
ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القران اولى به من الغنا فنقول الوجد الحق هو ما ينشا
من فرط حب الله وصدق ارادته والشوق الى لقائه وذلك يهيج بسماع القران ايضا وانما
الذي لا يهيج بالقران حب الخلق والعشق للمخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى
الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمانينة
والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى انما المومنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله فالوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات
ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
زينوا القران باصواتكم وقال لابي موسى لقد اوتي مزمارا من مزامير ال داود
واما الحكايات الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القران فكثيرة
فقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني هود اخبار عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف
وذلك وجد وروي ان ابن مسعود قرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله
تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا قال حسبك وكانت عيناه
تذرفان بالدمع وفي رواية انه عليه السلام قرا عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ما

Copyright © King Saud University